مفارقة التقديم والتأخير في دلائل الإعجاز .مقاربة تداولية .

عليوات أمباركة*[1] ، بلقاســم مالكيــة[2]
[1] جامعة قاصدي مرباح
aliouatfaiza5@gmail.com
[2] جامعة قاصدي مرباح
مخبر النقد ومصطلحاته .جامعة ورقلة .
Blkama64@gmail.com

الإرسال: 2020/02/01 **القبول:**2021/01/13 **النشر:** 2021/03/10.

الملخص: يُحاول البحث استقراء الأبعاد التداولية التي جاءت في دلائل الإعجاز من خلال ما لمسه الباحث من المفارقة المعنوية والدلالية المتجذرة في أسلوب التقديم والتأخير التي تزدوج فيها الدلالة ، فيقدم ماحقه التأخير ، ويؤخر ما حقه التقديم ، والتي تكشف عن الكثير من المفاهيم والتصورات التي تتقارب إلى حد كبير مع مبادئ التداولية ، فالأسماء والمصطلحات مختلفة ، ولكن المفهوم واحدٌ.

ليكشف الباحث أن التّغيير في البنية اللسانية . الخطاب التواصلي . يصاحبه تغيير بالمعني الضمني استنادا إلى مقصدية المتكلم ، وسياق الخطاب ، والمخاطب وخلفياته المسبقة ، وقدراته التأويلية ، مما يؤكد أن ما جاء به التداوليون المعاصرون لم يكن جديدا بالنسبة لعبد القاهر الجرجاني.

الكلمات المفتاحية: مفارقة ، تقديم وتأخير ، مقاربة تداولية ، عبد القاهر الجرجاني.

* **المرسل المؤلف.**

Paradox of submission and delay in the Dalail El-aidjaze Deliberative approach

Abstract : The research attempts to extrapolate the deliberative dimensions that came in the Dalail elaidjaze through what the researcher's touch of the moral and semantic paradox rooted in the method of submission and delay in which the significance is duplicated, presents a juggernaut delay, and delay the right to apply, which reveals many The concepts and perceptions that converge largely with the principles of deliberative, the names and terminology are different, but the concept is the same.

The researcher reveals that the change in the lingual structure of the communicative discourse is accompanied by a change in the implied meaning based on the speakers ' intentions, the context of the discourse, the addressee and his accompanying backgrounds, and his backward abilities, which confirms that the modern deliberative was not new for Abdul Qahir Al-Jarjani

Keywords: paradox, presentation and delay, deliberative approach, Abdul Qahir Al-Jarjani

1- مقدمة: يُعْتَبَرُ أسْلُوبُ التقديم والتأخير من أكثَرِ الأساليب البلاغية التي نَالت اهْتِمام عبد القاهر الجرجاني ، ذلك الاهْتِمام الذي تَجَلى في رَصده لِصُور التقديم والتأخير المتعددة وما تُؤَديه كُل صُورة من قِيمة دلالية أو تأثِيرية مُضافة إلى المعنى الظاهر لِلعبارةِ.

ولذلك يُمثِل خطابا بلاغيا تواصليا من حيث هو تفاعل بين طرفين ، وتأثّر وتأثير متبادل بين مرسلين ، يَقُوم على إعادَة تَرتِيب مفرداته ، فَيقدم ما حقه التأخير ، ويُؤَخِر ما حَقه التقديم ، ولا يَتِمُ ذلك إلا لِتحقيقِ مَقَاصد معنوية وأغراض بلاغية.

ولأن هذه العملية الخطابية التواصلية تعكس في صميمها مقاربات تداولية من خلال خطاب لغوي يُنجز في ممارسته فعلاً أدائيا تواصليا سواءً في شكله الصريح أو في شكله الضمني كما عبر عنه" **أوستين**Austin و**سيرل** Searle **أفعال إنجازية مباشرة ، وأفعال إنجازية غير مباشرة**"[1] ، فهل الخطاب اللغوي في تواصله بما يرتبط فيه من عناصر العملية التداولية من متكلم ومخاطب ومقاصد وخطاب وسياق يكون في استلزامه الحواري قد مارس مفارقة دلالية ؟ وذلك انطلاقاً من تباين المعاني التي تنشأ من إيحاء العبارات ، حيث يتوزعُ الخطاب على مستويين مستوى ظاهر ، وآخر قضوي يستلزمه الخطاب ، ويعدُّ أحد أهم مفاهيم الدرس التداولي ، أسس له **غرايس**Grace[2] تظهر قيمته في إيضاح الاختلاف بين ما يُقال كقوة إنجازية حرفية ، وما يقصد كقوة إنجازية مستلزمة ،فما يقال هو ما تعنيه الكلمات والعبارات بقيمها اللفظية ، وما يقصد هو ما يُريد الوصول إلى مراد المتكلم بما يتاح له من أعراف الاستعمال ، ووسائل الاستدلال.

والهدف من تطبيق المفهوم التداولي على الأطروحات البلاغية للجرجاني المساهمة في اكتشاف وتثمين جوانباً من الجهود الجبارة التي بذلها ، وحصر الأنماط الخطابية التي في دلائله بُغية تحليلها وتفسيرها في ضوء الاتجاه التداولي المعاصر ، ويتحقق ذلك بالنَّظر إلى طريقةِ مُعالجة الجرجاني لمفارقة التقديم والتأخير ، وتحليلها ، والتركيز على المفارقة الدلالية التي يُحدثها السياق والمقام ، مع محاولة إيجاد خيوط التلاقي والتشابه والتشابك بين فكر عبد القاهر ، والمعطيات التداولية ، اعتماداً على العناصر الأساسية التي تُشكل الخطاب الدائر بين المتخاطبين من خلال فِعل قرائي لأسلوب التقديم والتأخير في مُدونة دلائل الإعجاز نسعى من خلاله إلى تحيينها مع الدرس التداولي المعاصر.

2 .مفهوم المفارقة The concept of irony :

2 .1 .المفارقة لغة: المباينة وهي اسم مفاعلة من «**فَارقَ**» وجذْرها الثلاثي «**فَرقَ** » والفَرْقُ : خلاف الجمع فَرَقَهُ يَفْرُقُهُ فَرْقًا وفَرَّقَهُ ، وقيل: فَرَقَ للصلاح فَرْقاً ، وفَرَّق للإفساد تَفْريقاً ، وانْفَرَقَ الشيء ، والافْتِراقُ في الكلام ، يُقال: فَرقْتُ بين الكلامين فافْتَرَقا ، وفَارقَ الشيء مُفارقةً وفِراقاً: باينه.[3]

فالمفارقة مصدر «**فارق**» في باب المُفاعلة ، وجذرها الثلاثي فرق لا يخرج مفهوم المفارقة في اللغة من معنى الفصل ، والتفريق ما بين الشيئين نفهم منه أن دلالة الأصل اللغوي

للفرق تؤكد مدلولا واحدا ، وهو الانقسام والتباعد الجوهري [4] ، فمدار المعنى اللغوي للمفارقة محصور بين الاقتران والتباين والاختلاف .

2 . 2 . المفارقة اصطلاحا: وجوهر المفارقة يعكس مفهومها الاصطلاحي ،« إذ تتضمن معنيين أحدهما ظاهر والآخر خفي ، وهذا المعنى الخفي هو المطلب الذي يبحث عنه المستمع ، ويلح في الوصول إليه ، فيكون بذلك المتلقي ذا أهمية كبيرة من غيره لا تكتشف المفارقة ، فإن كشفها فقد أصاب هدف المفارقة ، وإلا فقد أخذ دور الضحية في المفارقة التي ساقها إليه المبدع (المتكلم) .»[5]

ويرى **ميوميك Myumik** أن صاحب المفارقة يقول شيئا ، لكنه في الحقيقة يقول شيئا مختلفاً ، وضحية المفارقة مطمئن أن الأمور هي على ما تبدو عليه ، ولا يحس أنّها في الحقيقة مختلفة تماما [6] ، فيقع ضحيةً بغفلته ، "فهي تتطلب تضادا أو تنافرا بين حقيقة ظاهرة ، وأخرى مخفية ، لأغراض مفارقة يشتدّ وقعها باشتداد التضاد".[7]

3.التقديم والتأخيرIntroduction and delay :

3 . 1 . التقديم والتأخير لغة: التقديم نَقِيضُ التَّأخِيرُ في اللُّغَة ، حيثُ يُفــهَمُ مِن الأولِ تَغييـر الموْضِعِ منَ الخَلفِ إلى الأمـــامِ ويُفهمُ من الثَّاني تَراجُعَ الشَيء إلى خَلْفِهِ.

والتقديمُ لفظٌ أُشْتَقَ مِن مَادَةِ «قَدَمَ» ،**عرفه الفراهيدي(الخليل بن أحمد 175هـ)**فقال:القَدَمُ ما يَطَأَ عَليهِ الإنْسانُ مِن لَدُن الرُّسْغِ فَما فَوقَهُ ، والقُدْمَة ،والقَدَمُ أي:السَابِقَةُ في الأمْرِ ، ومِنهُ قَوله تَعَالى:﴿ **لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ** ﴾ **[يونس، 2] ،** أي سَبقَ لَهُم عِندَ الله خَيرٌ [8] ،و"القُدُمُ ضِدُّ الأُخُرُ بمَنزِلَةِ قُبُلٍ ودُبُرٍ ، ويُقالُ: ضَربَ مقدَّم رَأسَه ومُؤخَّرَه".[9]

3 . 2 . التقديم والتأخير اصطلاحا: عَرفَ التَّقدِيمُ والتَأخِيرُ زَخَماً تحلِيلِياً كَثيرًا في كُتبِ ومُؤلفاتِ النُّحَاة وعُلماءِ الإعْجَازِ والبَلاغَة ، فَقدْ انْبَرى الكُلُ تَحلِيلاً وفَحْصاً وتَطْبِيقاً لْلآياتِ القُرآنية ، والأبيات الشِّعرية ، لإبرازِ مَا يَلزمُ وجُوبا الابتِداء به ، وما يجُوز أن يَتقَدمَ أو يَتأخَر حَسبَ الاخْتياراتِ التي يَميلُ إليها المخَاطِبُ.

غَيرَ أنَّ هذا المبحَث لم يُعرَّف تَعريفاً خاصاً به قَبلَ الجُرجاني ، وإنَّما جاء ذِكرُه في ثَنايا تَفسِير الآيات القُرآنية والأبيات الشّعرية ، حيثُ ظهرَ بِدايةً في شُروحات النحويين وتَعليلاتهم عند تَغيُر حرفٍ أو مُفردةٍ لموضِعها في الجُملة ، فَقد ذَكرهُ **الفراهيدي(الخليل بن أحمد 175هـ)** في كتابه الجُمل بـ قَدَّمَ وأخَّر ، فجاء شَرحاً وتَفسيرًا لقوله تعالى:﴿ **وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ**

شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾[الأنعام، 52] ، يقول الخليل: معْناه والله أعْلَم: ولاَ تَطْرُدِ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمينَ تَظْلِمُهُم فَتَطْرُدهم فَقدَّمَ وأخَّرَ[10] .

أما المصطلحُ في كُتبِ التَفاسيرِ والإعجازِ القُرآني فَقدْ ارْتَحَلَ بَين مُسميات عَديدة: التَّقديمُ والتَّأخيرُ ، المُقدَّمُ والمؤخَّرُ ، التَّقَدُمُ والتَأخُرُ ، كما ذُكِرَ مُرادفاً أحياناً لمصطلحِ القَلبِ وجُعِلَ نَوعاً من المجازِ ، ولكِنَّهُ لم يخْرُجْ مِن دَائرةِ الدَلالة على أنَّهُ تَغييرُ في تَرتيبِ المفْردات والألفاظِ دَاخل نَسَق الجُملة.

فنجد **ابن قُتيبة (عبد الله بن مسلم 276 هـ)** يَعرضُهُ في بَابِ المقلوب فَقال: « ومن المقْلوبِ: أن يُقدَّم ما يُوضِّحَه التأخير ، ويُؤَخَّر ما يُوضِحه التقديمُ »[11] ، ثُم نَراهُ يَذكُرهُ حِيناً بلفظه ، «وفي الآيَةِ تقديم وتأخير»[12] ، ويُخالفه حِينا آخر« ومن المقَدمِ والمؤخَرِ قوله سُبحانَهُ:﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ** ﴾[التوبة، 55] ، أراد: ولا تُعجبُكَ أمْوالهم وأولادهم في الدُنيا ، إنَّما يُريدُ الله أن يُعذبهم بها في الآخرة».[13]

وذُكـرَ عِند عُلماء البلاغــة تعليلاً للأغراض والمقاصد المتوخــاة منه ، فجاء عند **ابن الأثيــر(ضياء الدين 637 هـ)** في النوع التاسع من الصناعة المعنوية ، قال بأنه: «باب طويل عريض يشمل على أسرار دقيقة ، وأنه على ضربين: الأول يختص بدلالة الألفاظ على المعاني ، والثاني يختص بدرجة التقدم في الذكر ، إما للاختصاص أو مراعاة النظم ».[14]

ليخلُص إلى مفهومِه الاصْطِلاحي عند **الجرجاني(أبي بكر عبد القاهر 471 هـ)** بقوله: « هُو بابٌ كَثيرُ الفوائِد جَمُّ المحاسِن ، واسعُ التَصرَّف ، بَعيدُ الغاية ، لا يَزالُ يفترُّ لك عن بَديعةٍ ، ويُفْضِي بِك إلى لطيفةٍ ، ولا تَزال تَرى شِعْرًا يَروقُك مَسْمَعُهُ ، ويَلْطُف لدَيك مَوقِعُه ، ثُم تَنظُر فَتجِد سببَ أنْ راقكَ ولطُف عِندك ، أنْ قُدِّم فِيه شيء وحُوّل اللَّفظ عن مكانٍ إلى مكان».[15]

وبِالنظرِ إلى هذا المفهُوم واسْتِنطاقِه نَجدهُ يَحملُ الكَثير مِن الدلالات ، فَذِكرهُ أنه بابٌ دَلالة على طُول البَحث واتِساعِه فيه ، وكَثيرُ الفَوائد جَمُّ المحاسن إشَارة إلى ما يُفيدُ به في صياغةِ التراكيب ونَظم الأشْعار ،أما وَاسعُ التصرُّف فَذاك حُرية يمْنحُها لِلكاتب لِتعبيرِ عن أغْراضه ومَقاصِده ، ثُم يُقِرُّ أنَّ كُل الذي رأيناه مِن بَدائِعه ولطائِفه سَبَبُه تَقَدُّم كان لِلفْظِ.

4.مفارقة التقديم والتأخير Paradox of submission and delay :

تُمثل مفارقة التقديم والتأخير عِندَ **الجرجاني** مَظهرًا مِن مَظاهرِ بِناءِ الجُملة ، ورَكيزَةً أسَاسية في بَلاغتِها وتَحقيق مَقاصدها ، وإصَابَة غَرضِ المتَكلِم لِتحقيقِ التَّواصُلِ بَينَهُ وبَينَ المخاطَب ، بَل يَتجاوزُ ذَلك إذْ يَراهُ شَكْلاً مِن أشْكالِ الكَلامِ وأسْلُوبا مِن أسَاليبِه ، « فَعَلَى

ذَلكَ وُضِعَتْ المرَاتِبُ والمنَازِلُ فِي الجُملِ المركبة ، وأقْسَام الكلاَم المدَونَة ، فَقِيل: مِن حَقِ هَذا أن يَسْبِق ذَلك ، ومِن حُكْمِ مَا هَاهُنا أنْ يَقعُ هُناك كَما قِيلَ في المبْتدأ والخَبرِ والمفعولِ والفاعل ، حَتَّى حُضِّر في جِنسٍ من الكَلِمِ بِعينِهِ أنْ يَقَعَ إلاَّ سَابقا ، وفي آخرٍ أن يُوجَدَ إلا مَبْنِيا على غَيْرِه وبِه لاَحِقاً ، كَقولِنَا: إنَّ الاسْتِفْهَامَ لَهُ صَدْرُ الكَلاَمِ وإنَّ الصِّفة لاَ تَتَقَدَمُ على الموْصُوفِ إلَّا أنْ تُزال عَلى الوصْفِية ، إلى غَيْرِها مِن الأحكامِ. » [16]

فَالملاحظُ مِن نَص الجُرجاني أنه ذَكرَ أمُورا غاية في الأهمِية ، يُفهم بَعضُها مِن جُزئياتِ الكَلام وهي:

- أنَّ الكَلام مَنازلٌ ومَراتبٌ بِتقديمِ بَعضِهِ على بعضٍ.
- أنَّ الأحكامَ تَتغَيرُ بِتغيرِ مَواضعِ الألفاظ.
- أنَّ مِنَ الكلامِ ما لا يَصِحُ إلاَّ ابْتِداءً.

ثم ذهب الجرجاني إلى تقسيم التقديم والتأخير إلى وجهين:

الأول: **تقديم على نية التأخير** حيث يُغير اللفظ موضعه ، ويُحافظ على حكمه ، ومثاله الخبر إذا قدمته على المبتدأ «مُنْطَلقٌ زَيدٌ» ، والمفعول إذا قدمته على الفاعل «ضَربَ عُمراً زيدٌ».

أما **الثاني**: **فهو تقديم لا على نية التأخير** ، ولكن بنقل الشيء من حكم إلى حكم ، ومن إعراب إلى إعراب ومثاله: «المنطلقُ زيدٌ» ، «زيدٌ ضربته» ، فالأول نقل «المنطلقُ» من كونه خبراً إلى كونه مبتدأ ، والثاني نقل «زيداً» من كونه مفعولا به إلى كونه خبر مرفوع. [17]

والملاحظ أن القسم الأول الذي يأتي على أصله ، " تَضعفُ فيه المفارقة ، بينما القسم الثاني يأتي فيه التقديم لمقامات تَقتَضيه ، وهو القسم الذي تحتضنهُ المفارقة ، ذلك لأن المفارقة تَحِل في البُنية الاختيارية لا الإجبارية ، وأي عُدول عن هذا الأصل ، و تِلك الصورة المثالية بالتقديم والتأخير ، يعد اختراقا للحركة الأفقية التي تستولي على سيرورة الجملة العربية ، حيثُ يَنتقلُ الدَّال من خطِ سيرهِ الأصلي المتمثل في تِلكَ الحركة الأفُقية المنتظمة إلى موضعٍ طَارئ ، يأخذُ معهُ الدّال شكلاً جديداً ، وربما مدلولاً جديداً ، أيضا يحدث معه عملية ازدواج دلالي ، وهذا الازدواج ليس إلاّ ناتجاً حتمياً لعملية المفارقة ، ومن ثم يحدث للنص اختراق للأصل ، واختراق لأفقِ التوقعات ، وتكسب الجملة طابعاً ثُنائياً ، فَيحدُثُ التعارضُ بين المستوى الشكلي للنص والمستوى العميق المقصود" [18] .

وفي ظل هذه المزاوجة الدلالية ، تظهر **مُفارقة التقديم والتأخير** داخل سياق يعدد من أغراضها ومقاصدها وفقاً لاعتبارات يعود بعضها إلى المتكلم ، وأغراضه ومقاصده ، وبعضا يعود للمتلقي وسياقه .

1.4. مبدأ القصد Principle of intent :

لقد أوضحَ الجرجاني أن **مفارقة التقديم والتأخير لا تكون إلا لقصد** ، واستجابة لِعناصرِ السياق كالإخبار في قوله:« زيد مُنْطلق ، وزيدٌ يَنْطلق ، ويَنْطلق زيدٌ ، ومُنْطلق زيد ، وزيدُ المنْطلقُ ، والمنْطلق زَيد ، وزيدٌ هُو المنطَلق...وفي نحو قولك في الشرط والجزاء: إن تخرجْ أخرج ، وإن خَرجتَ خرجتُ ، وإن تخرُج فأنا خارج ، وأنا خارج إن خرجتَ ، وأنا إن خرجتَ خارج ، وكقولك في الحال: جاءني زيدٌ مسرعاً ، وجاءني يُسْرع ، وجاءني وهو مسرعٌ أو وهو يُسرع ، وجاءني وقد أسرعَ ...**فَتنظُر فيها طبقاً للمعاني التي تَرومُها ، وللأغراضِ التي تؤمها**».[19]

ويَبْدُو الجُرجاني في مقالتِه هذه متجاوزًا الدلالة اللغوية إلى البحثِ عن المعاني المتوخاة في سياقات استعمالها ، «**لأن النظم ليسَ شيئاً إلا توخِي معاني النحو وأحكامه ووجوهِه وفُروقه فيما بين الكلم**».[20]

وهذا يَعني أن مُختلف التراكيب اللُغوية الأصلُ فيها ما جاء صَحيح وسليم البناء نحوياً ، ثُم يتفرعُ عنه الكَثير من الأحكام ، والوجوه والفروق.

والبَيّنُ الجَلِيُّ في عرضِه لهذه الأحكام والوجوه وتَتَبُع فُروقها في الاستعمالِ أنه قد رَبَطَ اللغة بالممارسة ، وجَعل كل **نظم مُعَلّقٍ بِقصدٍ ، وُمرتبط بِغرضٍ** ، أو معنى مُتَضَمّن فيه يُرامُ إيصاله لِلمخاطب ولهذا نجده في كل موقف يَعْرضُ فيه تعليلاً لتقديم أو تأخير إلاَّ ويَذْكُر الغَرض منه ، ويعني مَبدأ الغرض تِلكَ الغاية التَواصلية التي يَريدُ المتكلمُ تَحقِيقها من الخطابِ وقَصده منه".[21]

فهو هنا يُشير إلى أحد أهم مفاهيم التداولية والتي ذكره في سياق الحديث عن وجهي التقديم والتأخير- تَقديم على نِيةِ التأخير ، وتَقديم لا على نِيةِ التأخيرِ- حيثُ جَعل عِلة التَغَيُر في الرُتبِ ما أسْماهُ وأطلقَ عليه "**النِّيّة**" ، **والنِيّةُ هنا تُجاورُ الغَرض في المعنى ،وتَحملُ دلالةَ القصد**[22] الذي« يُضَمّنُه المتكلمُ بِخِطابه لأن العدول عن الأصلِ لا يكون إلا لِغرض خاص»[23] ، فلا يمكن فهم اللغة إذا لم نفهم الخطاب ، ولن نَفهم الخطاب إذا لم نُراع الهدف منه(نوايا المتكلمينَ ومقاصدهم) ، وإذا لم نُحاول مَعرفة مُؤثرات السياق فيما نقول".[24]

فهناك تقديم يُبْقي فيه المخَاطب القصدَ على حالِه ، كقولك:« **مُنْطَلق زيدٌ**» ،و«**ضَربَ عُمرًا زيدٌ** » وذلك في كل شيء أَقْرَرْته مع التقديم على حكمِه الذي كان عليه ، وقسم آخر يكون فيه تغيير في القصد فتنقله من حكم إلى حكم ،ومثاله: « **المنطلقُ زيدٌ** » ،و« **زيدٌ ضَربتُه**».[25]

فالواضح في القسم الأول: قَدْ نَظر إليه مُجردًا من كل العوامل الداخلة حتى تحقق فيه صِفة الابتداء ، حتى وإنْ تَغَير في الرُتبِ والمواضع ، لأن «المبتدأ لم يكن مُبتدأً لأنه مَنْطوق به أولاً، ولا كان الخبرُ خبراً لأنه مَذكُور بَعد المبتدأ بل كان المبتدأ مُبتدأً لأنه مُسندٌ إليه ، ومُثْبتٌ له المعـنى ، والخبرُ خبرًا لأنه مُسْندُ ومُثْبتُ به المعنى. »[26]

وأما القسم الثاني عندما قَدمَ المعَرف الخبر «**المنطلقُ**» فَقد حَددَ مَجال الخطاب كونه مَعْرفَة لدى كل من المخاطبِ والمتكلم ، وأن تَكُون إحالَته مُرتَبِطة بِالمقامِ أي"بِالوضعِ التَخابري بين المتخاطبين" [27] .

أما تقديم الفاعل «**زيدُ يَنطلقُ**» فهو أمر استدعاهُ المقام ، وتَطلَّبَه الغَرض ، لأن في تنبيهِ المخاطب وضع له في حالةِ الانتباهِ ، والانتظار لأمر ما ، حيثُ يعرفُ المتكلم مُخاطبه أولاً عن كَينونة فاعله ، ثُم يَذْكُر ما أرادَ أن يُبْلِغُه من صفاتٍ وأخبارٍ تَخُصُّ مُتَقَدِمَهُ .

ومثال ذلك قول الشاعر:

هُمُ يُفْرِشُونَ اللّبْدَ كُلَّ طِمِرَّةٍ ❁ وأجْرَدَ سبَّاحٍ يَبُـــذُّ المُـغَالِبـــا

فالشاعر لم يرد أن يدّعِيَ لهم صفة ويفردهم بها ، وإنما أراد أن يصفهم بأنهم فرسان يمتهدون صهوات الخيل ، وأنهم يقتعدون الجياد منها ، وأن ذلك دأبهم من غير أن يعرض لنفيهِ عن غيرهم ، إلا أنه بدأ بذكرهم لينبهَ السامعَ لهم ، ويعلم بدْيًا قصده إليهم بما في نفسه من الصفة ليمنعه بذلك من الشَّك ، ومن توهُّم أن يكون قد وصفهم بِصفة ليست هي لهم ، أو أن يكون قد أراد غيرهم فغلط إليه.[28]

إذاً فالمخاطبُ عندما يُنقل إليه خَبرٌ بتقديمِ المحدث عنه يكونُ مُتقبلاً له ، ومُطمئِناً إليه مُتأكداً منه ، بعيداً عن الشَّكِ والشُبهة فيه ، وهو القصدُ الذي يرمي إليه المتكلم من خبرهِ حين يُقدم المحدث عنه «الفاعل».

ويَستفيضُ عبد القاهر مُعللاً وشارحاً لِفكرةِ التنبيهِ للمحدث عنه فَيرىَ بها من الفخامةِ والشرفِ ما لا يكون دُونها ، «**فليسَ إعلامكَ الشيءَ بُغْتَةً غُفْلاً مِثلَ إعلامكَ له بَعدَ التَنْبيهِ عليه والتقدمة له ، لأنَّ ذلك يَجري مَجرى تَكريرِ الإعلام في التأكيدِ والإحكامِ ، ومن هنا قالوا: إنَّ الشيءَ إذا أُضْمِر ثم فُسِّر كان ذلك أفخم له من أن يذكر من غير تَقْدِمة إضمارٍ** ».[29]

ويَنتقلُ بنا **الجُرجاني** إلى الخبرِ المنفي ، فَيكْشفُ عن غوامضِ مَواضِعه ، وكَوامِن أسراره ويَظْهرُ لَطائف نُكتهِ ومَعانيه ، ويَكشِفُ عن دلالات بَلاغية عَميقة تَحملُ بين طياتِها فُروقاً دقيقة ، تَتعلقُ باستخداماتِ المتكلم قَصد إفهام المخاطب.

وقَدْ حَلَّلَ **الجُرجاني** آليةَ التقديم والتأخير في القولِ المنفي مُشِيراً إلى الفروقِ التي تَتعلقُ بالمتقدمِ ، ومما يكون ذُو اتصال مُباشر بِالعملية التخاطبية ، وكذا طَبيعة المتخاطبين وِفْقَ سِياق مُعين.

ومثاله قولك:« **ما فعلت** » ، وقولك:« **ما أنا فعلتُ**» ، فتظهر هنا حالة المخاطب بين الشَّك وعدمه حيث إذا كان المخاطَب شاكاً في وقوع فعل ما أو في عدم وقوعه منكَ ، فلإزالة ذلك الشك عن ذاته تقول:« **ما فعلتُ**» ، وإذا كان المخاطب قد اعتقد أن فعلاً ما قد وقع ثم أردت أن تنفي عنك فعله تقول:«**ما أنا فعلتُ**» ، لأن المعاني والأغراض المتضمنة به"تحددها سياقات الكلام المرتبطة بالنقض والإنكار ، عادة ما يستعمل لدفع ما يتردد في ذِهنِ المتلقي ، ولذلك يحسن إرسال النفي مُطابقاً لما يلاحظه المتكلم من شكوك ساورت الذات المتلقية".[30]

ونَرَى **الجُرجاني** في هذا الموضع يُشيرُ إلى فَشلِ الخطاب إذا كان النَفي عاماً ، وجاء على الوجه الثاني بِتقديم الفاعل ، فَيصحُ أن نقول:« **ما قُلتَ شِعراً قَطُّ**» ، ولا يَصحُ قولنا:«**ما أنا قُلتُ شعراً قط**» فهذا من المحالِ لأنه لا يُوجد في الدنيا إنْسان ههنا قَد قال كل الشِعر حتَى تَجِيءُ فَتَنفي أن تَكُونه[31] ، فالفشل في الخطابِ الثاني راجعٌ لمخالفتهِ لِلسياقِ كونه يُحيل إلى نَفي شيء أو إثبات نفي شيء عن الذات ، لأنه يَسْتَندُ إلى خطاباتٍ سابقة ، أو افتراضات مُتَوقعة إما يكون نَتيجة لِسؤالٍ مُفْتَرض ، أو سُؤال حَقيقي صَدر من المخاطبِ نحو المتكلم.[32]

فالمفارقة بهذه الصُورة ظاهِرة لُغوية تَتَعلقُ **بِقصدية** المتكلم ، وما يُريدُه من الخطابِ بحسبِ النِّيات وبَواعث القولِ ومقاصده ، وكذا بالظروفِ والأحوال التي تُصاحب سِياق الخطاب .

2.4. مبدأ الفائدة Interest principle :

يُلحُ الجرجاني على **مبدأ الفائدة** ، حيثُ يستلزِمُ على المتكلمِ أن يكون على علمٍ ومَقدرة بما يَخْتاره من إستراتيجية تَتناسبُ وقَصْده ، وتُراع حَال مُخاطبه لكي **يُضَمِنَ بِكلامه فَائدة ، وسبيل الفائدة هُنا الفَهم والإفهام** ، كما نَراهُ يُعَمِمُ الفائدة على كلامٍ جاء بالتقديم والتأخير ، ويَرفُض أن يُقسم قسمين" فيجعل مُفيداً في بعض الكلام وغَير مُفيد في بعضٍ ، وأنْ يُعَلِّلَ

تارةً بالعناية ،وأخرى بأنه تَوْسِعَةٌ على الشاعرِ والكاتبِ ... فَمَتَى ثَبُتَ في تقديمِ المفعول مثلاً على الفعلِ في كثيرٍ من الكلامِ أنه قد اختصَّ بِفائدة لا تكون تلك الفائدة مع التأخير ، فَقد وَجَبَ أن تكون تلك قضيةً في كل شيء وكُلّ حال". [33]

فحُصول **الفائدة** لدى المخاطب مَبدأ مُهم ، وغَرضٌ تَواصلي على المتكلمِ مراعاتِه أثناءَ إنجازِهِ لخطابِه ، وتَلفُظه لكلامِه ، ولا يكون ذلك إلا بمراعاة مَقامات الكلام بِحسبِ المخاطب وأحواله.

ذلك ما أكَّده في ثنايَا شَرحه لمختلفِ التراكيب الخبرية التي لامسها تَقديم وتأخير بأجزائِها ، فَكل وَجه من الوُجوهِ الأربعة يَصْدرُ عن معنى خاص ، وغرض دقيق ، وآية ذلك أنكَ إذا جِئْتَ بِالوجه الأول:« **زيدُ مُنْطلقٌ** » كُنتَ مُحدِّثاً مَنْ لا يَعْرِفُ أن انطلاقاً كان لا مِن زيدٍ ولا من عَمرُو ، وإذا سُقْتَ الوَجه الثاني:«**زيدُ المنطَلِقُ**» كُنتَ مُكلماً مَنْ عَرفَ أن انطلاقاً كان ، فأعلمته أنه من زيدٍ دُون سِواه ، فإذا أردْتَ تأكيد ذلك أدخلتَ ضمير الفصل فكان الوجهُ الثالث:« **زيدُ هو المُنطلقُ** » ويتأتى الوجه الرابع:إذا كان السامع قد رأى إنسانا ينطلقُ بالبعد عنه فلم يثبت ولم يعلم « **أزيد أم عمرو**» فالعدول عن الأصل لا يكون إلا لغرضٍ وفائدة لا تكون في الباقي. [34]

والملاحظ في قوله هذا أنه يَتقاربُ لحد كبير مع ما أورده **سيرل Searle من تمييز بين القوة الغرضية وهدف الخطاب** ، فالمحتوى القَضَوِي للجمل الأربعة ظلَّ واحداً ، وهدفها الكلي هو الإفادة ابتداءً ، بينما تَتغيرُ القوة الغرضية بتغيرِ قصد المتكلم [35] .

وبالرغمِ من ظُروف **الإفَادة** لِنجاحِ التواصل الكلامي ، إلا أنَّها على دَرجاتٍ وُمستويات تَختلفُ بِحسبِ الأغراضِ والمقاصدِ ، فَالتنبه إلى الاختلافاتِ الموجودة بين البنيات اللُغوية السابقة ما هو إلا تَنَبه إلى **درجاتِ الإفادة** ، لأن فَائدة الخبر على أصلِه النحوي ليستْ كفائِدته مع التقديم والتأخير ،«**فَعلمُ المعاني يَزِيدُ عن النحو بِثلاثِ سوابق: زِيادة الفائدة ، والاستحسان ، والإقناع** ». [36]

3.4.مبدأ التعاون The principle of cooperation :

إن فَهمَ الخطاب عند المخاطب ليسَ بِالأمرِ اليَسِير ، لأنَّ مَنَاطَ الفَهم فيه رَاجع إلى ما يُطْلقُ عليه **مَبدأ التّعاون** [37] ، لأن في عمليةِ التواصل (التَخَاطُب)يكون الكَلام مُوجهاً إلى مخاطبٍ مُناسب له ومُتمثله ، ومُراعِيا أحواله وقُدراته ، لأن المتكلم يُنشئُ خطابَه من أجلِه ، وَوِفْقَهُ يَتَحَدَدُ الغَرض ، ويُنظمُ الكلام .

فالممارسة الحوارية تستند إلى "خلفيات تعود إلى المتحاورين وإلى مجموعة من المبادئ والمعارف المشتركة تفرض عليهم احترامها"[38] لنجاح التواصل ، كما أنها "لا تحتاج أن يصرح بها ، فهي متضمنة ومحتواة في القول"[39] ولذلك وجب على المتكلم مراعاة القاسم المشترك مع مخاطبه ليحقق الهدف المرجو من خطابه.

والمعنى جَلِيٌّ واضِحٌ فيما أَوْرَدَهُ **الجُرجاني** من الشاهد « **قَتَلَ الخارِجِيُّ زيدُ**» ، حيثُ تَعاون مع مُخاطبه«**الناس**» ، فَنَظم حَديثَه وِفْقَ السِياق التَّخاطُبِي الذي يَتواجَدُون فيه ، لأن النّاس مُتَطَلِعون إلى مَتَى يَكون قَتْلَ «**الخَارِجِيِّ**» لِيَكُفوا شَرَّهُ ، فكان خِطابه مَناسبا لهم .

والحقيقةُ أن فِعلَ التخاطبِ هُنا عَملية تَواصُلية مُشْتركة ، تَنطلقُ من المتكلمِ مُنْشِئ الخِطاب من المعنى والغرض الذي أراده إلى المبنَى المناسب لمخاطبِه ، وانْطلقَ فيه المخاطب من المبنَى الذي تَلقاهُ إلى معنى"اسْتدلَ فيه بِلُغة الخطابِ الظاهرة ، فَفهم الخطابَ في قصدهِ الباطن أو المضْمرِ".[40]

وخلاصة ذلك أن الخطابَ كما يَحمل الخصائص التمييزية للمتكلم ، فهو يُنْبِئُ بِطبيعةِ السامع الذي أُنْشِئَ من أجله ، بل إنَّ الخطابَ في ذاته يكون في أغلبِ الحالات حسب ما يُريده السامع لا المتكلم ، وتلك هي سِمَة اللسانيات التداولية الحديثة التي تَتقاطعُ فيها مع البلاغة العربية.[41]

4.4.مبدأ الضمنية Implicit principle :

وهذا يعني أن الخطابَ في ممارستِه الحِوارية يَنطلقُ بِمعنى صَريح هو أغْراضُ أصُول ، وقَدْ يُحيلُ إلى **معنى ضِمني**[42] **هو أغْراضُ مُتَولِدة مِنْ تَفعيلِ السِياقِ** ، والوضعيات والظروف المحيطَة به أثْناء الاستعمال.

فنحنُ بِمجردِ التلفظ بِالخطابِ **إما أن نُنْجِزَ قُوة إنجازية أصلية تُطابق ظاهرَ القولِ ، وإما أن نُنْجِز قُوَةً إنجازية مُسْتَلزَمة لا تُطابِقه** ، وتكون بذلك مُرتبطة: « بِسياقٍ داخلي يُكوِنُها ، وخَارجِي يُؤَثِرُ فيها وتَنْحَرفُ به عن القاعدةِ والمألوفِ وتَخْرِقُها بحسبِ القصدِ ، والسياقِ ، والمقام الذي تَجري فيه عملية التواصل»[43] ، وهنا تظهر المفارقة قائمة على التناقض والمغايرة ، وهو عنصر لغوي أو بلاغي يستعمل عكس الدلالة.[44]

والحديث هنا يَعُود بِنا إلى اختلافِ المعاني لاختلافِ المباني ، حيثُ أن بعضَ الجُمل في بعض المقامات تُوحي بِمعنى غَير الذي يُوحى بها معناها الحَرفي ، فإن الحُمولة الدلالية لِلعبارة اللغوية يمكن أن تُصَنَف إلى صنفين:الأول يَشملُ المعاني الصريحة حيثُ تدلُ عليها صِيغة

الجُملة نَفْسها ، أما الثانية فَيضُمُّ **المعاني الضِمْنِية** ، أي تلك التي تدلُ عليها صِيغة الجُملة وإنما تَتولدُ طِبقاً للسياقات أو المقامات التي تُنْجِزُها في الخطابِ ، فَنَسْتَعملُ جُملةً ما قَاصدين مَعنى جُملةٍ أخرى ، **ومِنْ ثَمَّ يَتِمُ الانتقالُ من معنى مُباشر إلى معنى غَير صَريح اسْتَلْزَم حِوارِياً**.

ويكون المعنى هنا في تضاد يستعمله المتكلم في ثنائية الدلالة التي تقوم بإعطاء معنى للأشياء مغايرًا لمعناها الحقيقي عن طريق عكس الدلالة إلى معنى ثانوي يهدف إلى المراوغة من أجل تثبيت المغزى للمفارقة ، ويتحقق غالبا من معنيين متعارضين ، فالمعنى الذي يساق في المفارقة يراد له أن يُكتشَفَ من المخاطب كون المفارقة على حد تعبير نبيلة إبراهيم هي: « **لعبة لغوية ماهرة وذكية بين طرفين الكاتب والقارئ**. » (45)

5.4.مبدأ السياق Context principle :

إن القصد الذي يَقْتَضِيه أصْلُ التركيب اللغوي ليسَ هُو القصد الذي يقتضيه التقديم والتأخير ،حيث تظهر المفارقة عند تقديم ماحقه التأخير ليأتي المعني الضمني ، ومثال ذلك قوله:« **قَتَلَ الخارِجِيَّ زيدُ** » فقد بدأ بذكر المفعول به بدلاً من الفاعلِ ، وفي ذلك عُدول منه عن القاعدة« **قَتَلَ زيدُ الخَارِجِيَّ**» ، وهو **عُدُول مُرتبط بِالقصد ضِمن السِياق** ، فَبِتقديم «الخارِجِيَّ» يكون المخاطب على شغفٍ لمعرفةِ خَبر مَقتل «**الخارِجِيَّ**» وليست الفائدة في معرفةِ القاتلِ ، وإنَّما في معرفة المقتولِ ، وذلك بالنَّظرِ إلى السياقِ ، **والسياق هنا يمثله مكانة** «**الخارِجِيَّ**» عند النَّاس ، ونفورهم منه نَظراً لِسوءِ سَيرته لهذا كان الأولى قول:" « **قَتَلَ الخارِجِيَّ زيدُ**» ولا يقول:« **قَتلَ زيدُ الخارِجِيَّ**» ، لأنه يَعْلمُ أن ليسَ لِلنَّاس في أنْ يَعْلمُـوا أن القاتـلَ له « **زيدٌ**» جَدوى وفَائدة ، فَيعنيهم ذِكْرُهُ ويُهِمُّهم ويَتَّصِل بمسرَّتِهم ، ويَعْلَمُ من حالهم أن الذي هُمْ مُتوقِّعون له ومُتَطَلِّعون إليه متى يكون ، وُقوعُ القتل بالخارجي المفسد ، وأنَّهم قد كُفُوا شُرَّه وتَخلَّصوا منه. (46)

ويَبدُو **الجُرجاني** في مقارنتِه هذه قَد اسْتَحْضرَ الأصلَ لِيفهم المعنى المتضمن بِالخطابِ ، **ثُم اسْتَحضرَ السياقَ وما يَسْتَلزِمه المقام** ، ثُم نَظر لحالِ المخاطبِ والطريقة التي بها يتم الإقناع ، كي يَفْهم ويُؤَول ما يَقْتَضيه الخطاب من معنى ، فكانت له «دلالة المعنى الظاهر على معنى آخر على سبيلِ الاستدلال. » (47)

ويَتعمقُ **الجُرجاني** في المعاني الاستفهامية التي تَأتي بِتقديم الاسم ، **فَيرى أن لِلسياق في بعض الخطابات دوراً رئيساً لِفهمِ المقاصد والأغراض** ، ومَعرفة جهة الصواب. مثال قوله تعالى: ﴿**قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ**﴾**[الأنعام، 142]**، فقد جاءت

بمتوالفة من المعاني والأغراض ، منها الظاهِر باللَّفظِ ، وهو ثُبــوت تَحريم في أحد الأشياء ، ثم أُريدَ مَعرفة عَين المحرم ومنها الضمني من الاستفهامِ ، وهو التحريم من أصلهِ ونفي قولهم.(48)

فالخطاب الكريم هو حِجاج للمخاطَب ، ومُطابقته بِالدليل والإثبات لخبره الذي يَزْعمه فَيتَبينُ بُطلان اعتقاده وقوله ، فيتضح هنا أن الخطابَ راعى المخاطَب والسياق فَتوالدتْ منه دلالات ومعاني ، مِنها ما نَطقَ به ظاهر اللَفظ ، ومنها ما تَضَمنهُ السياق وأوحى به.

إن هذه العملية التَّخاطبية الاستفهامية التي تَبدأ من المتكلمِ وتَنْتهِي وصولاً إلى المخاطَبِ ليست كما تَبْدُو ظاهرياً بِبساطتهاَ ، وإنما هي في اعتقادي عَملية تواصلية مُركبة ، تَبدأُ من المخاطبِ لا المتكلم حِينمَا يَتشكلُ بِذهنِ المتكلم (قصداً ما ،وصورة لمخاطبه)، فَينطلقُ من هذه الخلفية التي أثَارَهَا بِنفسِية مُخاطَبِهِ ، لِيوجِه خطاباً اسْتِفهامِياً إليه ، يبحثُ فيه المخاطَب لِيفهمه ويَعيه ، بِناءً على سياقٍ حالي مُتعلق به ، وسِياق مَقامي مُتعلِق بالخطابِ.

غَير أن غايــةَ الخطاب لا تَنْتَــهي هُنا ، لأن فَهْمَ الخطاب تُثارُ به رُدُود أفعــال المخاطب (الإنجاز ، المراجعة ، الثبات على الموقف...)هذه الأفعال بِنَفْسها سيكون لها رُدُود أفعال أخْرى من المتكلم ،فَيفضحُ المخاطب أو يُقبحُ أو يُستصْوَبْ.

فالواضح أنَّنا أمام سَيْرُورة من المقاصدِ تَبدأُ في أبْسطِ أوْجُهِهَا بِالاستفهامِ عن أمر ، وتَتعَقدُ بالإنكارِ وتَزدادُ تعقيداً بقصد الإنكار(التنبيه) ، **وهي في جوهرها مُفارقة تتجددُ تأويلاتُها وتنزاحُ عن الإجابةِ المباشرة التي يُصرح بها الاستفهام** .

وهذا ما أشارَ إليه **أوزوالدُ ديكرو ، Oswald Dekro** في كتابه«**القولُ واللاقول**» حيث رفضَ المفهوم القائل: إن اللسان يُستخدمُ للتواصلِ بالمعنى الضَيق للعبارةِ ، أي لِنَقْلِ المعلومة ،« فَحينَما أطْرحُ سُؤالاً ، فإني أقوم بشيء آخر غَير إعلام المتلقي عنْ رَغْبتِي بِالمعرفة ، وهو أنني أُدَشِنُ أمامهُ وُجُوبَ الإجابة ، وأُغطيهِ دَوراً في الوقت الذي أختارُ لنفسي فيه واحداً. »(49)

ويُواصل **الجرجاني** حَديثه فيعرضُ لنا شواهدًا وأمثلةً يكون فيها الاستفهام للإنكارِ ، ويكون فيه للتمثيلِ والتَّشبيهِ ،ومثاله قوله تعالى:﴿**أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ** ﴾**[الزخرف ، 40]** ، إن الظاهرَ من الآية الكريمة استفهام بِتقديم الاسم مما يُحيل إلى إنكارِ قُدرَة المخاطب على إسماعِ الصُّم وهِداية العُمي ، غير أن ذلك مما لا يكون لأحدٍ ، لذلك نَتجاوزُ فيه طَرحَ فِكرة أن يَكُون المعنى للإنكارِ لأنه مُحال ،وللاعتبارِ أن الخطابَ مُوجهٌ

للرسول الكريم ﷺ فقدَ جَعلَ عزَّ وجلَّ الخطاب من باب التمثيل والتشبيه حيث جَعلَ في ظنِّه أنه يستطيع إسماعَهم ، وبمثابة من يظَنُّ أنه قد أوتيَ قُدرةً على إسماع الصُّمّ .[50]

ومثاله من الشعر قول ابن أبي عيينة:

فَدَعِ الوَعِيدَ فَما وَعِيدُكَ ضَائِرِي ❁ أَطَنِينُ أَجْنِحَةِ الذُّبَابِ يَضِـيرُ ؟

فليس هناك ضَرَرٌ من الطنينِ حتى يُنْكَرَ ، وإنما ظنَّ أنَّ أجْنِحَة الذُباب بِمثابةِ ما يَضير ، فالمعنى فيه على التشبيه والتمثيل مما قد يَضيرُ.[51]

6.4.مبدأ الأفعال الإنجازية Principle of Anglo-Nazi verbs :

ويَسْتفِيضُ الجرجاني بِعرض الشواهد والأمثلة ، فَيُنبهنا إلى **تنوع الأفعال الكلامية**[52] منها فعل التكذيب"في قوله تعالى:﴿**وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾[آل **عمران، 75**] ،أي يَعلَمون كذبهم ويَنْكرونه كما يَنْكُرون عِلمَهم بِكذبهم لأن الكاذب لا يَعترفُ بِكذبه".[53]

فقد حلل الآية الكريمة استناداً إلى **فعل إعلاني** ، فالكاذبُ ولا سِيما في الدينِ لا يَعْترفُ بأنه كاذب ، فكان تقديم المحدث عنه «هم» لإظهارِ الكذب وإعلانه ، وتَأْكيدِ الإنكار.

ومنها **الملزمات** كأفعال الوعد والضمان كقولك:«**أنا أُعْطيكَ**» ، « **أنا أُكْفيكَ** » تُريدُ تَأكيد الوفاء بالوعدِ.

ومنها **أفعال الممثلات** كالمدح في قولك:«**أنتَ تَجُودُ حِينَ لا يَجُود أحدٌ**» تأكيداً وإقراراً على جُوده وكَرمِــه.

ومنها **أفعال الموجهات** كأن تقول:« **رجلٌ جَاءني**» تَطلُبُ إخباراً وقَصرَ فعل المجيء لِلرجل.فهنا توجه المخاطب لانجاز فعل .[54]

ومنها **المعبرات** وهي أفعال تعكس الحالة الشعورية كأن يكون الخطاب استفهامي في ظاهره وضمنيا تعبير عن الاهانة للمخاطب ومثاله :

- **أ أنتَ تَمنعني ؟**
- **أ أنتَ تأخذُ على يدي ؟**

فأنتَ تنْكرُ عليه القدرة على منعكَ والأخذ على يدك ، لأنه يَعْجزُ عنه وليس في وسعه.[55]

وانطلاقاً مما سبقَ يتضحُ أن الخطابَ اللغوي لابد أن تتوافر فيه عناصر الاتصال التي تُمثل حلقة وصل بين المتكلم والمخاطب ، حيث تعملُ مُفارقة التقديم والتأخير على تضمين

مقاصد يعملُ المتلقي والمستمع على تأويلها ، وهي بذلك تستلزم مُستويات في المعنى أحدهما ظاهر ، والآخر متضمن مقصود.

خاتمة :

إن البحث في مفارقة التقديم والتأخير التي تناولها **عبد القاهر الجرجاني** في كتابه دلائل الإعجاز كشفت الكثير من المقاربات التداولية منها.

- ✓ إن استقـراء أسلوب التقديم والتأخير كشـــف عن خطاب تواصلي هو تشكيل

لغــوي بتقديم بعض مفرداته على بعض ، **يعكس نوايا المتكلم ومقاصده**.

- ✓ إن الجرجاني في عرضــه الشواهد القرآنيــة ، والأمثلة الشّعريــة ، وتحليلها قد تجاوزَ

النَّظرَ في الدلالات النَّحويــة ذات المعاني المباشرة إلى دراسته المعاني المتولدة بعضها من بعضٍ ، والتي تستلزمُ لفهمها والكشف عنها كفاءة في التأويل والفهم ، أشار إليها الجرجاني **بفعل التأمل والتدبر**.

- ✓ إن الحديث عن المعاني المباشرة وغير المباشرة كان له حضور بارز ومتميــز في

مبحث التقديم والتأخيــر يعكسُ مفارقة بلاغية ، باستنطاقها يتكشفُ **المعنى الصريح بالخطاب ، والمعنى المضْمرِ ،** وإن كان يختلفُ في مستوياته ودرجاته باختلاف الخطابات العادية والبليغة ، فإن لكل منهما شُحناته الظاهرة والخفية ، وهي بمعنى **التداولية أفعال إنجازية يقترن فيها المضمون بالأداء** ، أو بمعنى أدق التحقيق الفعلي أثناء العملية التواصلية الذي تختلف أفعاله بين التقرير والوصف ، وبين الإنجازِ والتطبيق ، وهي ثنائية لَصِيغَة بكلِ أسلوب لغوي ، بمختلف صوره وأشكاله ، وذلك حين يخرج إلى غير أغراضه الأصلية.

- ✓ إن اعتنــاء الجرجاني بكل صور وآليات إنشـــاء الخطاب التواصلي ، والإلمام بكل

العناصر الفاعلـــة في الإبلاغ من **المتكلم ومقاصده ، والخطاب وسياقه ومقامه ، والمخاطَب وافتراضاته المسبقة** ، يمثل نظرة تداولية شاملة للعملية التواصلية.

- ✓ إن الخطاب اللغوي عمليــة التواصلية تَستلزمُ خطابــاً متضمنا مقاصداً وأغراضاً ،

ولتَّمكُـن من حَلِ شَفراته ، وفهم مراميه لابد أن **يكون المخاطب حاضراً بِمدركاته ومعارفه المسبقة** التي يَستلزمُها الحوار ، ويكون المتكلم عالماً بالمخاطَب ومعارفه تلك ، فَيتحقق إدراك بمتضمنات الرسالة ومعانيها ، وتنجح عملية التواصل.

✓ لقد مَهــد الجُرجاني الطريــقَ للبلاغيين فكانت إضاءات رائعــة لمفارقــةِ

التقديم والتأخيـر ، أثْمــرتْ تُراثــاً بَلاغياً ما زِلْنا نَغْتَرِفُ مِنْ مَناهِلِه ، ونَشربُ من منابعه الكَثير من الآراءِ والتحليلات القَيمة التي أصَّلت لِلظاهرةِ في النص القُرآني ، وفي كلام العَرب وأشْعارهم. ذلك ما تنبه إليه ، فرأى أن الفروقَ بين التراكيب والاختلاف بين الأساليب ليس فرقاً في الحركاتِ ، وما يَطْرَأُ على الكلماتِ من تغييراتٍ ، وإنما الفرقُ بينها في المعاني والدلالات التي يقصدُ إليها المتكلم ، ويؤثر فيها السياق ، ويؤولها المخاطَب ، وهي بذلك ترسيمة لمقاربات تداولية.

قائمة المراجع:

القرآن الكريم

1. ابن الأثير ضياء الدين ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، تح أحمد الجوفي وبدوي طبانة ، دار النهضة ،ط2 ، مصر .
2. ابن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن ،السيد أحمد الصقر ،دار التراث ،ط2 ، القاهرة مصر2 ، 1973
3. ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر ،ط2 ،بيروت ، دت ، مادة فرق
4. أحمد المتوكل ، الوظائف التداولية في اللغة العربية ، دار الثقافة ، المغرب ، ،1985 .
5. الأزهري ، تهذيب اللغة ، تح فاطمة محمد أصلان ، دار الإحياء التراث العربي ، ط1 ،بيروت ، 2001
6. الإمام إسماعيل بن حمادة ، معجم الصحاح ،بيروت ، دار المعرفة ، 2005 .
7. الجرجاني : _ دلائل الإعجاز ،تح محمود محمد شاكر ،مكتبة الخانجي ،ط3، القاهرة مصر ،1992 .
   _ أسرار البلاغة في علم البيان ، تح محمد الإسكندراني ،دار الكتاب العربي ،دط ، بيروت ، 2005
8. جان سيرفوني ،الملفوظية ،تح قاسم المقداد ،منشورات اتحاد الكتب العرب ،1998 .
9. جول يول ، التداولية ، تج د قصي العتابي ، الدار العربية للعلوم ،دط ،بيروت ، 2010
10. الخليل : - العين ، تح عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ،ط1 ،بيروت ،2003
    _ الجمل ،تح فخر الدين قباوة ،مؤسسة الرسالة ،ط1 ،بيروت ، 1985 .
11. خليفة بوجادي ، في اللسانيات التداولية ،محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم ، بيت الحكمة ، ط1 ،الجزائر ،2009
12. سي ميوميك ، المفارقة ،تج د عبد الواحد لؤلؤة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،ط1 ، بيروت لبنان ، 1993

13. عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب . مقاربة لغوية تداولية ،دار الكتاب الجديد المتحدة ، ط1 ،بيروت ، 2003
14. العياشي أدراوي ، الاستلزام الحواري في التداول اللساني ، منشورات الاختلاف ،ط1 ، الجزائر ، 2011.
15. كاهنة دحمون ،الجملة الاعتراضية بنيتها ودلالتها في الخطاب الأدبي ، دار الأملدط ، الجزائر ،2012
16. محمد الأخضر الصبيحي ، مدخل إلى علم النص ومجالاته ، منشورات الاختلاف ،ط1 ، الجزائر ،2008
17. محمد العمري ، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها ، إفريقيا الشرق ،دط ،المغرب ، 1999
18. مسعود صحراوي ، التداولية عند العرب ،دار الطليعة ،ط5 ، بيروت ،2005 .
19. مهدي المخزومي ، في النحو العربي .نقد وتوجيه .دار الرائد العربي ،ط2 ، بيروت ، 1986 .
20. نبيلة إبراهيم ،فن القص بين النظرية والتطبيق ، مكتبة غريب .مصر

المقالات :

1 . رقية رستم ، مريم غلامي ،انعكاس المفارقة في الاساليب البلاغية ، مجلة الجمعية الايرانية للغة العربية وآدابها ، ع 44 ،ص ص 25-44 ، 2017 .

2 . سيزا قاسم ، المفارقة في القص العربي المعاصر ،مجلة الفصول ،المجلد الثاني ،العدد الثاني ،يناير ، فبراير ،مارس ،1982

4 . عمر بوقمرة ،البحث التداولي من الارهاصات التأويلية إلى الأفعال الكلامية ، مجلة الممارسات اللغوية ،مجلد 5ع4.ديسمبر2014

5. ينظر ليلى كادة ،الاستلزام الحواري في الدرس اللساني الحديث طه عبد الرحمان أنموذجا ، مجلة الممارسات اللغوية ، مج 3ع3 . سبتمبر 2012

6 .نبيلة إبراهيم ، المفارقة ، مجلة فصول ،العدد الثالث والرابع ،ابريل وسبتمبر ،1987

الهوامش

(1) .العياشي أدراوي ، الاستلزام الحواري في التداول اللساني ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ،ط1 ،2011 ،ص95.

(2) .سمى غرايس هذا المفهوم التداولي بالاستلزام الحواري conversational implicature العياشي أدراوي ، المرجع السابق ، ص96.

(3) .ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر ،بيروت ،ط2 ، دت ، مادة فرق.

(4) .الإمام إسماعيل بن حمادة ، معجم الصحاح ، دار المعرفة بيروت ،2005 ،ص 809.

(5) .نبيلة إبراهيم ، فن القص بين النظرية والتطبيق ، مكتبة غريب .مصر ، ص198

(6) .سي ميوميك ، المفارقة ، ترجمة د عبد الواحد لؤلؤة ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط1 ، 1993 ، ص 48.

(7) .المرجع نفسه ، ص49 .

([8]). الخليل ، العين ، تح عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 2003، ص 366 و367 .

([9]) . الأزهري ، تهذيب اللغة ، تح فاطمة محمد أصلان ، دار الإحياء التراث العربي ،بيروت ، ط1 ، 2001 ، ج9 ص57 .

([10]). الخليل ، الجمل ، تح فخر الدين قباوة ،مؤسسة الرسالة ،بيروت ،ط1 ، 1985 ، ص 49 .

(11). ابن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن ،السيد أحمد الصقر ، دار التراث ، القاهرة ،ط2 ، 1973 ، ص193

([12]). المرجع نفسه ، ص 425 .

([13]). المرجع نفسه ، ص 208 .

([14]). ابن الأثير ضياء الدين ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، تح أحمد الجوفي وبدوي طبانة ، دار النهضة ، مصر ،ط2 ، القسم 2 ، ص210 .

([15]). الجرجاني ، دلائل الإعجاز ،تح محمود محمد شاكر ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ،ط3 ،1992 ، ص 106 .

([16]). الجرجاني ، أسرار البلاغة في علم البيان ، تح محمد الإسكندراني ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، دط ، 2005 ، ص 11.

([17]). يُنظر ، الجرجاني ،دلائل الإعجاز ،المرجع السابق ، ص ص 107 ،106 .

([18]). رقية رستم ، مريم غلامي ، انعكاس المفارقة في الاساليب البلاغية ، مجلة الجمعية الايرانية للغة العربية وآدابها ، ع 44 ، 2017 ،ص29 .

([19]). ،المرجع نفسه ، ص ص82 ،81

([20]). المرجع نفسه ،ص81 .

([21]). مسعود صحراوي ، التداولية عند العرب ، دار الطليعة ، بيروت ، ط5 ،2005 ، ص 198.

([22]). يرى خليفة بوجادي أن القصد عموما مفهوم تداولي يرتبط أساسا باستعمال اللغة ، ويستشهد بقول المسدي في مسألة المواضعة في اللغة والقصد في التراث العربي: القصد هو في كل لحظة من لحظات استعمال اللغة قصد فائدة معينة طبقا لسنن المواضعة العامة في جهاز تلك اللغة مع تكريس مظهر من مظاهر العملية التواصلية . ويضيف أن أهم ما يتولد عن القصد مفهوم رائد للفعل في الدرس العربي يعبر عن الأداء الفعلي للغة من طرف المتكلم . في اللسانيات التداولية ،محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم ، بيت الحكمة ، ط1 ، الجزائر ،2009 ،ص ص169 ،168 .

([23]). ينظر ،الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، المرجع السابق ، ص 189 .

([24]). محمد الأخضر الصبيحي ، مدخل إلى علم النص ومجالاته ، منشورات الاختلاف ،الجزائر ،ط1 ،2008 ، ص46 .

([25]). ينظر ، الجرجاني ، المرجع نفسه ، ص ص107 ،106 .

([26]). المرجع نفسه ، 107.

([27]). يُنظر ، أحمد المتوكل ، الوظائف التداولية في اللغة العربية ، دار الثقافة ، المغرب ،ط1 ،1985 ،ص 120

([28]). يُنظر ، الجرجاني ، دلائل الاعجاز ، المرجع السابق ، ص 130/129 .

([29]). المرجع نفسه ، ص 132.

([30]). مهدي المخزومي ، في النحو العربي .نقد وتوجيه .دار الرائد العربي ، بيروت ،ط2 ، 1986 ، ص 246 .

([31]). الجرجاني ، المرجع السابق ، ص 124 .

([32]). عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب .مقاربة لغوية تداولية ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ،ط1 ، 2003 ،ص 203 .

([33]). الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، المرجع السابق ، ص 110 .

([34]). المرجع نفسه ، ص ص177 ،178 .

([35]). عبد الهادي ، المرجع السابق ، ص .173

([36]). يُنظر محمد العمري ، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها ، إفريقيا الشرق ،المغرب ، دط ،1999 ، ص 492 .

([37]). يشير جول يول إلى أن المبدأ التعاوني للمحادثة هو توفر قدر من المعلومات في محادثة لدى الأشخاص المشتركين في المحادثة حيث سيعاون أحدهم الآخر ، كما أشار إلى مبادئه الثانوية التي قدمها غرايس وهي الكم ، النوع ،العلاقة ،الحال ، جول يول ، التداولية ، تج د قصي العتابي ، الدار العربية للعلوم ، لبنان ، ط 1، 2010 ، ص67 ،68 .

([38]) . ينظر ليلى كادة ،الاستلزام الحواري في الدرس اللساني الحديث طه عبد الرحمان أنموذجا ، مجلة الممارسات اللغوية ، مج 3ع3 ص 170

([39]). عمر بوقمرة ، البحث التداولي من الارهاصات التأويلية إلى الأفعال الكلامية ، مجلة الممارسات اللغوية ، مجلد 5ع4ص169 .

([40]). يُنظر ، عبد الهادي ،استراتيجيات الخطاب ، المرجع السابق ، ص 201 .

([41]). خليفة بوجادي ، اللسانيات التداولية ، المرجع السابق ، ص176 .

([42]). يعتبر مفهوم التضمين واحدا من المفاهيم الأساسية في التداولية ، ويقصد به المعنى الذي يتم إيصاله دون قوله. جول يول ، المرجع السابق ، ص79 .

([43]). كاهنة دحمون ،الجملة الاعتراضية بنيتها ودلالتها في الخطاب الأدبي ، دار الأمل ،الجزائر ،2012 ،دط ، ص 32 .

([44]). ينظر : سيزا قاسم ، المفارقة في القص العربي المعاصر ، مجلة الفصول ، المجلد الثاني ، العدد الثاني ، يناير ، فبراير ،مارس ،1982 ، ص28 ، بحث 144 .

([45]). نبيلة إبراهيم ، المفارقة ، مجلة فصول ، العدد الثالث والرابع ، ابريل وسبتمبر ،1987 ،ص132 .

([46]). يُنظر الجرجاني ،دلائل الإعجاز ،المرجع السابق ، ص 108.

([47]). مسعود صحراوي ، التداولية عند العرب ، المرجع السابق ، ص 191 .

([48]). ينظر ، المرجع نفسه ، ص 115.

([49]). جان سيرفوني ، الملفوظية ، تح: قاسم المقداد ، 1998 ،منشورات اتحاد الكتب العرب ،1998 ،ص 106 .

([50]).ينظر ، الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، المرجع السابق ، ص 120

([51]).الجرجاني ، المرجع السابق ، ص 121 .

([52]).يدرج غرايس خمسة أنواع لوظائف عامة تنجزها أفعال الكلام: الإعلانات ، والممثلات ، والمعبرات ، والموجهات ، والملزمات. جول يول ، المرجع السابق ، ص91 .

([53]).الجرجاني ، المرجع نفسه ، ص 133.

([54]).ينظر ، المرجع نفسه ، ص 134.

([55]).ينظر ، المرجع نفسه ، ص118 .